2- الحبر الأسود

عبدالعزيز طارق

استيقظ من غفوته طويلة الأمد.. لترتجف أجفان عينيه منزعجة من ذلك الضوء الساطع، أضاق حدقتيه محاولا التأقلم مع الضوء.. شعر بالألم ينهش مؤخرة رأسه وكأنه قد ضُرب عليها توا.. تجول بناظريه ليجد نفسه بتلك الغرفة البيضاء، بل ناصعة البياض لا يوجد بها أي شيء سواه.. تبدو نهايتها كمثل بدايتها وكأن اللاشيء الموجود بعقله قد ترعرع ليستحوذ على تلك الغرفة..

وفجأة ظهر باب حديدي عتيق من العدم بأحد جوانب الغرفة.. اعتراه الذهول وهو يتابع رسم ذلك الباب لنفسه بين ثنايا الحائط.. وكأنه يقول:

"حان الآن موعد أن تنظر ما ورائي"

هب من على فراشة الأبيض وكأنه مُسير، ليتقدم بخطوات متوترة وينخفض صدره ويرتفع بسرعة كبيرة حتى وصلت أنفاسه حد اللهث، أمسك بمقبض الباب والقلق يكسو عقله ليحركه إلى الأسفل ببطء شديد فينفتح الباب..

وجد نفسه بفراغ شفاف كالهواء قبل أن يبدأ ذلك الفراغ بالتشكل.. لترتسم ملامح غرفة شعر بالألفة تجاهها.. رفع حاجبيه ذهولا وبدأ لسانه بالتحرك قائلا:

" دي أوضتي"..

خطفت عيناه جولة سريعة بتلك الغرفة ذات الجدران الوردية لتشعر بالألفة هي الأخرى بداخل أركانها تقدم بين خزانة الملابس الخشبية

وفراشه حتى وصل إلى المرآة، نظر بها لتجحظ عيناه بعد أن وجد نفسه خفيا.. وكأنه السراب.. وفجأة بدأ جسده بالتشكل أمامه بالمرآة تدريجيا من الأسفل إلى أعلى.. تابع ملامحه وهي تُخلق أمامه من العدم حتى بدا جسده مكتملا.. أطال النظر بملامح وجه ذو البشرة الخمرية وعيناه التي اعتلت جبلين من السواد الداكن.. حرك يديه ليداعب خصلات لحيته الكثيفة كريستالية اللون، تحركت قدماه وكأنه إنسان آلي لا فكر له ولا قدرة حتى وصل إلى أحد أركان الغرفة ليجد مجموعة من الأوراق المنثورة على الأرض وقد حولها الإهمال إلى اصفرار من بعد بياض، مد يده ممسكا بإحدى الأوراق التي امتلأت بالتجاعيد وكأن أحدهم قد اعتصرها بقبضته.. بدأ بفتح الورقة ليقرأ محتواها:

. وائل أنا عايزة أفهم ليه عملت فيا كده؟! وعشان مين.. عشان دي؟، دي واحده ماشية مع نص صحابك تسيبني أنا حب حياتك علشانها.. أنا بجد مش مصدقة.

. بقولك أيه يا مريم ريحي نفسك مني عشان أنتي مهما عملتي أنا واخد قرار أني أبعد عنك خلاص يا ستي واديني بقولها في وشك لتاني مرة.. أنا مش عايزك..

عقد حاجبيه مشمئزا مما قرأ.. قبل أن تبدأ أحباله الصوتية بالتحرك لتعلن عن صوتٍ أجش قائلا:

. أيه القرف إلى أنا قريته ده

لفت انتباهه ظهور باب خشبي بأحد جدران غرفته.. فامتدت يده فاتحًا إياه.. ليهاجم الظلام عينيه ويسقط فاقدا الوعي.

***

استيقظ مجددًا بذات الغرفة البيضاء، نهض من سباته مذهولا.. متذكرا ما حدث معه، نظر حوله متعجبًا ليجد نفس الباب الحديدي

العتيق يرتسم من جديد سار مسرعًا متجها إليه ممسكا بمقبضه دون تردد.. دخل إلى نفس الغرفة وردية الجدران مجددا ولكن هذه المرة ظلت أنظاره معلقة على الباب الذي دخل منه ليراه وهو يختفي تدريجيا من أمامه وكأنه لا سبيل للعودة، عاود النظر بأنحاء الغرفة مجددا باحثا بعينيه عن الباب الخشبي الذي أعاده إلى الغرفة البيضاء ولكن دون جدوى فقد اختفى ذلك الباب، اتجه إلى ذلك الركن حيث وجد تلك الأوراق المتسخة ولكنها اختفت أيضا..

. وائل أنت فين يا بني هنتأخر

قطع شروده صوت أنثوي ينادي بتلك الجملة ليتذكر تلك المحادثة التي قرأها من قبل والتي ذُكر فيها اسم وائل، وقبل وصوله لأي تفسير بدأ ذلك الباب الخشبي بالارتسام سريعًا وقبل أن يتخطى ذهوله.. فُتح ذلك الباب لتلج أجمل ما رأت عيناه، فتاة شقراء ذات خصلات منسدلة على كتفيها وعينتين زرقاوتين، انفتح فمه ذهولا من الجمال الذي رآه.. نظرت إليه عاقدة حاجبيها من نظراته المثبتة عليها قبل أن تتحدث معلنة عن صوتٍ عذب قائلة:

. يلا يا وائل بقى وعمال تقولي أنا اللي هأخرك، وبعدين في أيه مالك أول مرة تشوفني؟

عقد حاجبيه بعد ذكرها لاسم وائل وهي تخاطبه، إذن هل هو وائل؟!

. لا لا يا بنتي مفيش حاجه مانا جاهز أهو يا مريم..

تحرك لسانه رغمًا عنه واهتزت أحباله الصوتية دون إرادته بهذه الجملة حتى هو لا يعلم أن تلك الفتاة تُدعى مريم.. إذن هي شريكته في ذلك الحوار المكتوب الذي قرأه؟!، نظر حوله بذهول وكأنه يبحث عمن تحكم بعقله، وأثناء نظراته الزائغة سقطت عيناه على المرآة ليرى نفسه هي نفس تلك الملامح التي رآها مسبقًا ولكنه مُهندم الهيئة وقد صُففت

خصلات شعره وهُذبت لحيته، استدار ليقف أمام المرآة متجاهلًا نداءات تلك الفتاة.. شعر وكأن يد فنان قد امتدت لهيئته فأضفت عليها أناقة، شعر بيد الفتاة تمتد لتجذبه من يده ليسير معها كسجين بخطة القدر.

اخترقا الباب الخشبي ليقعا بدوامة من الظلام أفاق منها ليجد نفسه بحافلة، وكالعادة لا يعرف أي شيء وكأنه بعث للدنيا منذ دقائق، نظر من نافذة الحافلة التي يجلس بها ليرى شوارع يحدها الشاطئ والأمواج التي تضرب الصخور بكل قوة لتتناثر قطراتها مثل الألماس في الهواء، يعاود النظر بجانبه ليرى الفتاة الذي كانت معه في الغرفة "مريم"..

. مالك يا وائل بتبصلي كدا ليه؟

قاطعت نظراته إليها بهذا السؤال، استمر بالنظر إلى عينيها الزرقاوتين متسائلًا بعقله هل هي مثله؟!، هل استيقظت لتجد نفسها بتلك المزحة السخيفة؟.. وأخيرًا تحدث ولأول مرة بملء إرادته قائلاً:

. عارفة شعور أنك ضايعة ومش فاهمة حاجة أو بتعملي حاجات مش فاهمة حتى بتعمليها ليه مش عارفة حتى هل أنتي إللى بتقولي الكلام ده ولا حد بيحركك

ابتسمت وهي تداعب خصلات شعرها الذهبي قبل أن تجيب:

. اه فعلًا البحر حلو أوي..

عقد حاجبيه مذهولًا من ردها الذي لا يناسب كلامه، فكرر جملته مرة أخرى، لتبتسم نفس الابتسامة وتداعب خصلات شعرها بنفس الطريقة وتجيب:

. اه فعلًا البحر حلو أوي..

فجأة بدأ كل شيء بالتحول إلى البياض.. البحر وصخوره، الشوارع، ركاب الحافلة.. ثم مريم.. قبل أن ينظر إلى يديه بفزع ليجدها تتحول هي

الأخرى إلى البياض الناصع.. قبل أن يُسدل ستار الظلام على مسرح رؤيته..

***

سقط مفزوعًا من على وسادته ليلهث وكأنه قد خرج لتوه من ماراثون للركض، نظر حوله ليجد نفسه بغرفة أحد الفنادق ومريم مستلقية بجواره بسبات عميق، مد يده مجبرًا ليزيح بعضًا من خصلات شعرها المُسدل على وجهها، أبعد يده عن خصلاتها منتفضًا كمن مسته الكهرباء وعقد حاجبيه مذهولًا مما فعل، نهض من على سريره ليبدأ بالبحث بأرجاء الغرفة بدون سبب وكأنه يبحث عن شيءٍ هام قد فقده، اتجه مُسيراً إلى أحد المقاعد.. ليجثو على ركبتيه محضرًا ورقة مطوية قارئًا فيها ما يلي:

" . أنا بعترف أني بحبك يا وائل وصدقني هيا مش هتحبك قدي..

قالت تلك الكلمة وكأنها قد أطلقت سهما من قوسها لتصيد الفريسة بسهولة

. أنا كمان مشدود ليكي أوي يا بتول.."

نظر إلى الورقة ومن ثم نظر المرآة التي بجانبه متسائلًا من هي بتول؟..

. وائل أنت صحيت؟.. . صاحي بدري يعني وعامل كركبة ودوشة؟!

قالتها مريم وهي تنظر إليه بعين مستيقظة والأخرى لا زالت تحاول قبل أن تستكمل حديثها:

. أعمل حسابك عشرة دقائق وهننزل عشان نعمل برنامج الرحلة يعني نقوم نجهز دلوقتي، نسيت أقولك صحبتي بتول هتيجي معانا..

انتفض فزعًا وهو يقول:

. نعم !!!

. مالك صاحبتي بتول عادي يعني في أيه..

هبت من على فراشها واتجهت إلى دورة المياه لتترك له الأسئلة، هل سيخون مريم من أجل بتول؟؟، وهل أحب مريم من الأساس؟؟، من أتى به إلى هنا وأين كان من قبل الاستيقاظ بتلك الغرفة البيضاء!!، لمَ يُجبر على الحديث بل وعلى كل خطوة يخطوها؟!

تجول في خاطره أسئلة كثيرة ولكن كان أعظمها هو ذلك السؤال.. هل أنا الذي اختار مصيري أم مصيري هو الذي يختارني؟!.. يشعر بأنه يطير، يطير في اللاشيء، يشعر وكأنه في الفضاء كل شيء من حوله يلمع ولكن لم يصل إلى أي ضوء يساعده.. لكن أنا لن يظل هنا، تنهد وهو يرى انعكاس صورته في المرآة ليجد نفسه قد بدل ملابسه.. أومأ رأسه في تحد قبل أن يتحدث.. يجب علي أن أتحرك يجب علي أن أعرف من أنا ومن يحرك مصيري.. خرجت مريم لتقطع شروده وحديثه الذاتي قبل أن ترتدي ثيابها ويخرجا معًا من باب الغرفة لتلتهمهما دوامة الظلام..

. وائل يا وائل..

أفاق من غفوته على صوت مريم تناديه ليجد نفسه جالسًا بأحد الكافتيريات بجوارها ليجيبها رغمًا عنه:

. هاا.. في حاجة يا مريم؟

. خليك مع بتول هروح أعمل حاجة وآجي..

أومأ رأسه غير مبال بحديثها، قبل أن يلتفت ناظرًا لتلك التي تُدعى بتول ليجدها مبتسمة له، ليسألها في هدوء:

. أومال مريم راحت فين؟!

. هي قالتلي رايحة تقابل حد..

. حد مين؟!

. واحد صاحبها؟ هي مقلتلكش؟

. لا محدش قالي ومين صاحبها ده معانا في الرحلة ولا أيه مش فاهم؟

. اه معانا في الرحلة

. وهما فين دلوقتي؟

. قالتلي هتعد في الكافية إلى ورا..

دفع وائل الكرسي للخلف ليهب غاضبًا ويهرول تجاه ذلك المكان حيثما أشارت بتول ليجد مريم بأحضان شاب آخر واقفين، بدأت الدموع بالانهمار بعينيه دون أن يشعر بأي ألم بنفسه حتى أنه مد يده متحسسًا دموعه التي فاضت على وجنتيه، سار غاضبًا تجاه ذلك الشاب ليوجه لكمة قوية إلى أنفه فيسقط أرضاً، قبل أن يجذب مريم من شعرها أمام الجميع ويذهب إلى شاطئ البحر وبتول تركض خلفهم، أفلتها ووقف أمامها متسائلاً، بينما تنظر له مريم نظرة غضب ممزوجة بالاستحقار..

. أنتي بتخونيني ليه عملت أيه عشان تخونيني عايز أفهم؟

نظرت له مشمئزة قبل أن تُجيب:

. أنت مش واعي لأي حاجة يا وائل.. وأنا زهقت وآه مش عايزاك، واديك شوفت بعينك كفاية كمان أني سبتك تعمل كل اللي أنت عايزه أدام الناس..

صرخ غاضباً:

. مريم أنا عايز أفهم ليه عملتِ فيا كده؟! وعشان مين.. عشان ده؟، ده واحد ماشي مع نص صحابك تسيبيني أنا حب حياتك علشانه.. أنا بجد مش مصدق..

. بقولك أيه يا وائل ريح نفسك مني عشان أنت مهما عملت أنا واخدة قرار أني أبعد عنك، وأديني بقولها في وشك لتاني مرة.. أنا مش عايزاك..

ارتسمت وجه وائل ملامح التعجب مذهولاً، لم يكن ذهوله بسبب خيانة مريم له فهو بالأساس لم تهتز شعرة برأسه من ذلك ولكنه تذكر تلك المحادثة التي قرأها بغرفته وردية الجدران، هي ذاتها نفس الجمل التي أثارت اشمئزازه أليس من المفترض أن تتبدل الأدوار.. ألم يقرأ تلك الجمل في أوراق حملت صك خيانته لمريم وعتابه لها، إذا لمَ اختلفت المصائر؟.. شعر بتلك القوة تتحكم بلسانه وأوشك على الحديث ولكنه قرر التمرد، أغلق فمه بقوة مصارعًا ذلك الراغب بحديثه.. حتى شعر بتمكنه وسيطرته على ذاته، فقرر الخروج عن النص المكتوب.. قرر التمرد والكتابة بقلمه هو، ابتسم بهدوء ناظرًا إلى مريم متحدثًا بملء إرادته قائلاً:

. كويس أن جت منك.. أنا أصلًا كنت عايز أنهي العلاقة دي..

لم ينتظر ردها بل أنصرف بخطوات واثقة، ليجد "بتول" تركض خلفه وهي تنادي قائلة:

. يا وائل أقف هتقطع نفسي

توقف عن السير سامحًا لبتول باللحاق به، وهو ينظر إليها متذكرًا تلك المحادثة التي قرأها صباحًا تدور بينهما، إذن فمن المفترض أن تنشئ بينهما علاقة حب يكون مخاضها الآن؟!

. أيوه يا بتول في أيه؟

مدت أناملها الرقيقة تداعب خصلات شعره وهي تنظر له والحزن يطغى على عينيها قبل أن تقول:

. متزعلش نفسك عشان خاطري..

أبعد يدها عن خصلاته وبدأ بالحديث الجاف قائلاً:

. لا مش زعلان بالعكس عارف أن ده هيحصل، وعارف كمان عايزة تقولي أيه..

. عارف ايه..

هاجمه ذلك البياض اللعين ليقضي على كل ملامح الحياة بما فيها تلك الخمرية "بتول" التي تلاشت من أمامه وبدأ الظلام في الصعود التدريجي أمام ناظريه..

***

استيقظ لينظر حوله، فوجد نفسه بالغرفة البيضاء وكأنه كان في حلم ليقف على قدميه ناظرًا بأرجاء الغرفة الخالية من كل شيء، شبك ذراعيه خلف ظهره وبدأ بالتجول بأنحاء الغرفة.. قبل أن يظهر نفس الباب الحديدي الذي عادة ما يقوده إلى غرفته وردية الجدران، نظر إلى الباب بتحد وقرر ألا يطاوع خطوات قدميه.. لن يفتح ذلك الباب ولن يلج تلك الحياة التي لم يختارها.. ظل الباب يختفي ويظهر مرارا بأنحاء مختلفة من الغرفة وكأنه يناديه.. وبكل مرة يرفض تلبية ذلك النداء..

فجأة.. ظهر باب مختلف الهيئة واللون، فقد كان أشبه بأبواب القلاع الحربية.. أما لونه فكان فضيًا لامعًا مغري الناظرين.. اكتمل ارتسام الباب وظهر مقبض ذهبي مزخرف، توجه ببطء إلى الباب متمنيًا أن يصل إلى جواب ما يدور بعقله، أيمسك المقبض وضربات قلبه تزداد، فُتح الباب بكل سهولة ليجد ممرًا صخريًا مظلما، وما أن خطت قدماه أولى الخطوات بذلك الممر حتى انغلق الباب وشعر بيدٍ تدفعه لينزلق مكملًا ذلك الممر زاحفًا حتى انتهى به الحال بالوصول إلى غرفة كئيبة المنظر بنية الأثاث والجدران، وقف مستطلعًا ما حوله ليجد رجلا ذا لحية بيضاء كثيفة وكأنها لم تُحلق منذ بداية الخليقة يبدو عليه الوقار، جالسًا على مكتبه الخشبي ناظرًا له بعينيه البنيتين المتواريتين خلف نظارة طبية قديمة الهيئة والطراز، اقترب وائل بخطوات مترددة من ذلك الرجل حتى أصبح مواجهًا لمكتبه قبل أن يبدأ وائل الحديث:

. أنا معرفكش، لكن عارف أنك ورا كل حاجة..

قلب الرجل الأوراق الصفراء البالية والتي تشبه تلك التي وجدها وائل بالغرفتين، قبل أن ينظر إليه ويبدأ بالكلام..

. شايف القلم ده؟

وجه ذلك السؤال وهو يلوح بقلم ذهبي اللون بيده، قبل أن يستكمل:

. ده ماضيك وحاضرك ومستقبلك، ده إلى بيخليك تبدأ وده اللي بينهيك ده إلى لو عملت بيه خطين في ورقة صفرا هيبقوا طريقك بدون ما تفكر أو تتمرد على طريقك، أنت دورك تنفذ وبس والناس تقرأ تسقفلي ملكش أي حق أنك تفرض نفسك أنا اللي بحط مصيرك وقدرك..

أضاق وائل حدقتي عينيه متأملًا حديث ذلك الرجل قبل أن يتساءل وائل قائلاً:

. أنت مين؟

ليرفع وجه الذي يتحدث عن الهيبة ويضع عينه في عين وائل..

. أنا اللي خلقتك ووجدتك..

. أنت عايز مني..

. أنا مش عايز منك حاجة أنت أصلًا ما تملكش حاجة.. ده اللي لازم تفهمه، أي حاجة بتعملها مش بمزاجك وصدقني أنت من غيري ولا حاجة مجرد بياض ورقة مفيهاش ريحة الحبر..

. أنت ليه بتعمل فيا كدا إشمعنى أنا؟

. أنت أيه؟!.. أنت ولا حاجة أنت شوية حبر أسود مالهمش لازمة..

. ومريم وبتول..

. برده حبر أسود، لكن في الحقيقة أنت مميز.. عشان كده أنا دخلتك هنا عشان أعرف بتتمرد ليه، أرضى بدورك ونفذه، أنا اللي بكتب مش أنت..

. وأنا حبر

يرفع عينه مرة أخرى ليرد بهدوء..

. اه ودخلتك هنا عشان أعرف أنت بتتمرد ليه

. وأنت

. في حاجات مش لازم تعرفها فكر في نفسك الأول يا وائل

. وليه معملش إلى أنا عايزه ليه أعيش الحياة دي؟

. عشان أنا عايز ده

. هو أنا أول حد اتمرد؟

ابتسم الكاتب بسخرية وهو يداعب خصلات لحيته البيضاء قبل أن يُجيب:

. لا فيه غيرك كتير مكنتش ليهم نهاية حبستهم في اللاشيء، كتاب وقفلته وأنت تستحق نفس العقاب، بس يمكن خليتك تخشلي عشان شخصيتك حبيتها أكتر من أي شخصية تانية واتعاطفت معاها، مع أن مش من حق الكاتب يتعاطف معه الشخصيات وإلا هما إلى هيمشوا الحكاية، وأنا مش بحب النهايات المفتوحة.. اسمع القدر يا وائل ومتتمردش..

. يعني أعمل أيه نهاية كل ده أيه؟

ليرفع عينه لوائل مرة أخرى ثم ينظر إلى الأرض بنظرة هدوء قائلا:

. الموت..

صرخ وائل غاضبا:

. لييييه؟

. أنا عايز كده وما دام أنا عايز كده، النهاية مش هتتغير مهما عملت..

. وأنا هتمرد..

. وأنا هحبسك وأضيعك وأحطك في المجهول وأقفل عليك لآلاف السنين متنساش أني أنا إلى خلقتك..

تقدم وائل مسرعًا نحو الكاتب والشرر يتطاير من عينيه، ففتح الكاتب قلمه بسرعة وبدأ بالكتابة في ورقته الصفراء، ليختفي كل شيء أمام عيني وائل ويبتلعه الظلام..

***

. يا وائل يلا يا بني هتأخرنا..

يعلق نظرة على الباب بلا مبالاة، ليفتح الباب أمامه ليجد ثلاث فتايات يأخذون شكل مريم ليتحدثون بصوت واحد

. مش يلا بقى هنتأخر..

لينظر لهم بذعر ويتراجع للخلف

ليركضن نحوه ويتحولن إلى مسوخ، ليصرخ وائل

وائل أنت صحيت؟

فتح عينيه ليجد نفسه واقفًا بغرفة الفندق أمام المرآة والغرفة تعم بالفوضى، نظر إلى مريم المتحدثة بعين مستيقظة والأخرى لا زالت تحاول ليجيبها صارخًا:

. ابعدي عني..

لتنظر له بغرابة قائلة:

. صاحي بدري يعني وعامل كركبة ودوشة؟!

. بقولك ابعدي عني.. ابعدوا عني كلكم.. عارفة تبعدي عني ليه.. لأنك مجرد حبر أسود على الورق..

. أنت بتق...

لم تكمل حديثها ليراها تتلاشى أمامه وكأنها لم تكن، لم تظهر أي ملامح اندهاش على وجهه فقد اعتاد على ذلك، أعاد النظر إلى المرآة متأملًا هيئته مفكرًا كيف سيتخلص من ذلك الحبر الأسود الذي حتم عليه غداه يتمنى ملاقاة ذلك الكاتب من جديد ليضع أنياب تمرده على عنقه ليعلن تمرده وفراره من سجن الأوراق، ذهب إلى حقيبة ملابسه ليلبس أفخم ما لديه من ملبس ويتأنق أمام المرآة وكأنه حاكم العالم وسيلقي خطابا لرعيته، وجد نفسه فجأة بشوارع المدينة ولكنها كانت خالية تمامًا من المارة لا أحد سواه بها، ليكمل مسيرته بدون أي اندهااش، فهو يعرف من الذي فعل ذلك..

. يا وائل أقف هتقطع نفسي

نظر خلفه ليرى بتول تهرول عليه حتى لحقت به في مشهد مُعاد على ذاكرته، همت بوضع أناملها على خصلات شعره إلا أنه منعها من ذلك.. لتستكمل حديثها:

. متزعلش نفسك عشان خاطري..

. عالأساس أنك زعلانة عشاني ولا هو عايزك تكوني زعلانة؟

. أنت كويس يا وائل ايه إللى أنت بتقوله ده؟

. أنا مقولتش حاجة غلط أنا خرجت عن النظام مش أكتر ومش هرجع..

أنهى جملته وبدأ النظر حوله وهو يصرخ قائلاً:

. بقولك مش هرجع.. أنت سامعني؟!

همت بتول بالنداء عليه ولكن لم يسعفها الوقت فقد سقطت أرضًا هي الأخرى وبدأت بالاختفاء تدريجيا.. ومن بعدها كل شيء ليعم الظلام، أما هو فلم يستسلم لفقدان وعيه فشعر وكأنه يسقط من أعلى ناطحة سحاب، ليسقط على الأرض، يفتح عينيه يجد نفسه في غرفته البيضاء، هم واقفا ناظرًا حوله كمن ينتظر إشارة التحرك، وبالفعل ظهر ذلك الباب الفضي الذي قاده إلى الكاتب فأسرع تجاهه فاتحًا إياه ليسقط بالممر مرة أخرى.. حتى وصل إلى غرفة الكاتب..

هب واقفًا ليجد الكاتب واقفًا أمام مكتبه وصوت الموسيقى الصارخة يعلو في الأجواء بينما يلوح الكاتب بقلمه تزامنًا مع إيقاع الموسيقى وكأنه المايسترو، نظر حوله ليجد أشياء عدة تظهر في الغرفة ومن ثم تختفي.. حتى ظهر كلتا الفتاتين "مريم وبتول"، وقفتا دون النظر إليه وكأنهما لا تعرفاه.. وكأن كلا منهما قد تحولتا إلى إنسان آلي، تقدم وائل ممسكًا بأحد المقاعد ليطرحها أرضًا في غضب بَين، لتتوقف الموسيقى ويختفي كل شيء مرة أخرى، ولم يبق سواه هو والكاتب الذي توقف عن التلويح بقلمه ونظر له بغضب متسائلاً:

. أنت وصلت هنا إزاي؟

. خرجت عن نظامك أنا مش هموت زي ما أنت عايز..

أومأ الكاتب رأسه وبدأ بالضحك حد القهقة سخريةً من حديث وائل قبل أن يقول:

. هكلمك بالعقل لآخر مرة يا وائل ده القدر، وما دام أنا اخترته مقدرش أغيره حتى لو أنا عايز كده، حقيقي أنا بشفق عليك ومش عايزك تموت بس كل حاجة لازم تنتهي كدا..

تقدم وائل ببطء نحو الكاتب لتنزل بعض الدموع من عينه قبل أن يتساءل:

. وأنت ليه اخترت أني أموت أنا مش عايز أموت.. وليه بتول ومريم موصلوش ليك زيي ولا شافوا اللي أنا شوفته؟!

. ده لأنك بتفكر في حاجات مينفعش تفكر فيها.. أنت مجرد دور وبس.. ده سبب أني وصلتك ليا وخلاني أكلمك، أما عن موتك.. فلازم تفهم أن قلمي هو اللي بيكتب النهاية.. عمرك سمعت عن شخصية هي إلى بتكتب نهاية قصتها؟!.. ده شيء مستحيل..

نظر وائل إلى الكاتب بغضب شديد قبل أن يقول:

. يبقى اتفرج على حادثة أول مرة تحصل في تاريخ الكتابة..

خطف وائل القلم الذهبي ليطعن الكاتب عده طعنات في عنقه ويسقطه أرضا، قبل أن يتحدث الكاتب بصوت يكاد لا يسمع.. قائلاً:

. غبي أنت مش بس نهيت نفسك أنت نهيت على كل حاجة..

وبمجرد نطقه لتلك الكلمات بدأ كل شيء في الاختفاء أمام عيني وائل والتحول إلى البياض وصولًا إلى جسده الذي بدأ بالتلاشي تدريجيا.. ليعم الظلام الأجواء، ليبقى الكاتب بمفرده ليفتح عينيه..

***

. هو يا دكتور مقتنع أن وائل هو إلى ضربه لحد دلوقتي، مع أن الكاميرات اللي في المكتب جايباه وهو بيضرب نفسه كذا مرة بالقلم في رقبته..

. هو حضرتك تقربي للأستاذ محمد؟

. اه أنا مراته يا دكتور..

. طب ومين وائل ده بما أنك مراته يمكن يفيدنا في حالته..

. دي شخصية كان عاملها في روايته الجديدة والمفروض أنه كان هيموت في نهاية العمل بس دخلت عليه إمبارح لقيته غرقان في دمه والقلم بتاعه جمبه اتصلت بالإسعاف ولما فاق زي ما حضرتك شايف عمال يقول أسف يا وائل ومش هموتك صدقني.

لكل منا قضيته ومعركته التي لا يعلم عنها أحد، لكل منا قلب يحوي الكثير من كل شيء فلا تغرنك ابتسامة ذاك أو عدوانية ذاك أو نجاح ساحق لآخر.. فكلنا مصابون.. كلنا مثيرون للشفقة بشكل أو بآخر ولا سبيل للنجاة سوى بإدراك أن خسارة النفس تعادل خسارة العوالم أجمعها والفوز بها يجعل من تلك العوالم نطفة بين يديك.. بإدراك أننا لسنا هنا عبثا فلا ختام لحياتنا سوى بإتمام غاية وجودنا منذ البداية وأن الله لم يخلقنا شعوبا وقبائل كأعداد فقط وإنما لنجعل من تلك الرحلة ما هو أقل وطأة كي نعبرها بسلام كي نصل إلى المرسى.. إلى الوطن..